# الباب الثاني

# في فضائلها ومنافعها

قال الله تعالى : ( لقد آتينا موسى الكتاب ، وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا )[1] ، فخرج [2] هذا مخرج الامتنان في جواب سؤال موسى عليه السلام : ( واجعل لي وزيراً من اهلي هارون أخي اشدد به ازري ، واشركه في امري )[3] . فالوزير معين الملك ، ومدبر امره ، ومديره[4] .

وقد روى عن النبي ( عليه الصلاة والسلام )[5] : « اذا اراد الله بالامير خيراً جعل له وزيراً صالحاً ـ ويروى وزير صدق ـ ان ذكر اعانه ، وان نسي ذكّره ، وان اراد به سوءاً ـ أو قال غير ذلك ـ جعل له وزير سوء ، ان نسي لم يذكره ، وان ذكر لم يعنه[6] .

ومما قرأت في وصايا الفرس : عهد[7] بعض الملوك الى ولده فقال : يا بني ! انك لن تصل الى احكام ما تريد من سياسة العباد وضبط البلاد الا بمعونة الوزراء فاعنهم[8] على طاعتك بحسن مباشرتك ، وجميل مكافأتك ؛ وعلى معونتك بمساعدتك لهم بما يغنيهم عن غيرك[9] .

---

(١) سورة طه ٢٩ .
(٢) في د خرج .
(٣) سورة طه ٣١ .
(٤) انظر نهاية الارب ٦ : ١٢٢ .
(٥) في ب ، ج عليه السلام .
(٦) انظر ص٤١ ، ٥٠ .
(٧) في ب عن .
(٨) في الاصول فانهم .
(٩) انظر نهاية الارب ٦ : ١٢٢ .

وقال كسرى قباذ : الوزير من الملك بمنزلة بصره وسمعه وقلبه ولبّه ، لانه مغلق الابواب ، متوارٍ عن الابصار ، فيجب ان يكون محفوظا ملحوظا ، وعليه ان يحفظ مصالح الدولة ، وضوابط المملكة ، لتبقى على حسن نظامها ، وجمال رونقها ، ويدفع عنها الآفات العارضة التي ربما ادّت الى فسادها ، كالطبيب الحاذق ، فانه يشتغل بحفظ الصحة ، ثم بمداواة ما يعرض للجسد من خلل[١٠] .

وقال الفضل بن سهل : مَثَلُ الملك العادل مع الوزير الفاضل كالنهر العظيم الذي مشاريعه متسهلة[١١] ، ومثل الملك الصالح مع الوزير الطالح ، مثل النهر العذب الطيب الصافي فيه التماسيح لا ينتفع به المنتفع الا نادرا [ وعلى ] وجل ، وكذلك الحديقة المونقة فيها الاسد[١٢] .

وقال ارسطو طاليس : قد انتخب الاسكندر سبعة وزراء يصحبونه في سفره ، ويتكلفون مصالح أمره ، وقال لهم : ان الملك قد اشرككم في[١٣] ملكه ، فاديموا النعمة عليكم بنصحه ، وارفعوا[١٤] دعائم الملك ، وثبتوا قواعده ، وحصنوه[١٥] بالعدل ، وزينوه بالفضل ، واصلحوا الخلل قبل ان يعجزكم اصلاحه ، وانتهزوا[١٦] الفرص قبل فواتها ، وكيفما كان فانتم

---

(١٠) النص في نهاية الارب ٦ : ١٢٣ مع بعض الاختلاف .
(١١) في ب ، د متنهلة ، ومتسهلة من السهلة ، يقال : نهر سهل ذو سهلة ، والسهل : كل شيء الى اللين ، وقلة الخشونة .
(١٢) ورد في كليلة ودمنة : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ : ان السلطان اذا كان صالحاً ووزراؤه وزراء سوء ، منعوه خيره ، فلا يقدر احده ان يدنو منه ومثله في ذلك مثل الماء الطيب الذي فيه التماسيح ، لا يقدر أحد ان يتناوله ، وان كان الى الماء محتاجاً » .
(١٣) في ب من .
(١٤) في ب فارفعوا .
(١٥) في ب وحضوه .
(١٦) في ب فانتهزوا .

شركاء الملك ، فان ربحتموه ربحتم ، وان خسرتموه خسرتم ؛ فاعملوا لكم ولغيركم والله موفقكم .

وهذا من الكلام الجامع للفوائد الجمة ، والنصائح التامة[17] .

---

(١٧) في ب للفوائد والنصائح .

« وقرأت في كتاب اخبار السلجوقية ان السلطان ملكشاه تغير على وزيره نظام الملك علي بن اسحاق لتقريب الاعداء ، وطول المدة ، واغراض ردية كان يمنعه عنها ، ويصده ، فبعث اليه بخادم لبيب من خواصه يعرف بصندل وقال له : اختل معه ، وقل له : انك قد استوليت على بلادي وتحكمت في المملكة اكثر من تحكمي ، وقسمت البلاد والاعمال بين اولادك واصحابك ، وعلمائك ، ثم اتخذت من المدارس والربط والاوقاف ، ما يزيد على ثلث المملكة ثم ما تخرجه في كل سنة في البر والصلات حتى كأنك شريكي ، او قسيمي ، لا ، بل اليسير حظي . فاقصر عما انت عليه واحتفظ بالاموال ، واعزل اصهارك ، وأولادك عن البلاد ، والا اطبقت دواتك ، وابطلت تصرفاتك ، ولولا اني ارى حق شيخوختك ، وقديم خدمتك لتجاوزت ذلك، الى غيره ، وفعلته الآن . فلما مضى الخادم وادى اليه الرسالة، لم يرتع ، ولم ينزعج ، وقال للخادم : كما بلغتني ما قال ، بلغه ما اقول ؛ سلم عليه وقل له : تعلم اني شيخ كبير ، وقد قاربت شمس الغروب ، ولم يبق لي غرض في الدنيا ، لعلمي بقرب مفارقتها وقد فعلت في مملكة والده ، ومملكته من الضبط وحسن السيرة ما يعلمه الله والناس . اما الاوقاف والصدقات فعلي تعبها ، وله ذكرها واجرها ، هذا ان كنا منصفين ، وان كنا ظالمين فعلينا التعب والوزر ولاربابها النعيم والاجر . واما اهلي وغلماني ، فلم أولى منهم من وليت الا للكفاية والغنى ، لا للقرب مني ، فمن قبحت سيرته عزلته ، واستبدلت به ، واما قوله : كان شريكي في ملكي فصدق . نعم شريكه ، وجميع المسلمين شركاؤه ، وخصوصاً جميع جنده ورعيته فان المال مال الله ، جعله تحت يده ، ليصرفه في مصالح عباده ، وأما رفع دواتي فهذا اليه ، ولكنها مقترنة بعزة تاجه ودولة سريره ، فلئن تغيرت حالها ، ليتغيرن ذلك الحال . والله اعلم . فلما عاد الى السلطان بهذه الرسالة ، وجم لذلك ، ولم يتكلم بشيء ، وتعلم الناس من صبره على ذلك ، ثم سار الى العراق ، ودخل

الى بغداد ، وخرج نظام الملك في اثره ، فخرج عليه باطني من الملحدة فقتله في العاشر من شهر رمضان . واما السلطان فانه مرض ببغداد ومات في السادس عشر من شوال ؛ فكأن نظام الملك انطقه الله بسرّ الغيب .

وكان نظام الملك من نوادر الزمان ، وافراد اهل الفضل والاحسان ولقد ساس اهل الدنيا احسن سياسة ، وخلّد الذكر الجميل ، وادّخر الاجر ، واحسن الذخيرة ، فكان كما وصفه ابن الموصلايا في قصيدة مطلعها :

ذراهـا في ازمتهـا تهـادى ... وغادِ بهـا الثنايا والوهـادا
ولمـا أن تفـرّد بـالمعـالي ... وادرك في مداهـا مـا ارادا
افـاد معالم الحمـد انتظاماً ... وزاد غنائم المجـد انتصـادا
وقـاوم صولة العدوان عدل ... اقـام بـه من الحـق العمادا
وخصّ مواقف التقوى بفعل ... امات الغيّ واستحيا الرشادا

الى هنا انتهت الزيادة ، وراجع مناقشتنا لوضع هذا النص في المقدمة (توثيق النص) ونظام الملك هو الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي، وزير اديب ، استوزره السلطان الب ارسلان ، وبقي في خدمته عشر سنين ، ومات الب ارسلان فاستخلفه ولده ملكشاه ، فصار الامر كله لنظام الملك . اغتاله ديلمي على مقربة من نهاوند سنة ٤٨٥هـ. انظر وفيات الاعيان ٢ : ١٢٨ ـ ٢٣١ وابن الاثير ١٠ : ٧٠ .

وابن الموصلايا هو العلاء بن الموصلايا من اكابر الكتاب في العهد العباسي كان يقال له : منشىء دار الخلافة . خدم الخلفاء خمساً وستين سنة ابتداءً من القائم بامر الله سنة ٤٣٢ . توفي سنة ٤٩٧هـ. انظر وفيات الاعيان ٣ : ٢٤٨ ، المنتظم ٩ : ١٤١ .